بسم الله الرحمن الرحيم(١)

الحمد لله الذي ظهر لأوليائه بنعوت جلاله، وأنار قلوبهم بمشاهدة صفات كماله، وتعرّف إليهم بما أسداه إليهم من إنعامه وإفضاله، فعلموا أنه الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، بل هو كما وصف به نفسه، وفوق ما يصفه به أحد من خلقه في إكثاره وإقلاله، لا يُحصي أحد ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه على لسان من أكرمهم بإرساله؛ الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، ولا يَحْجُب المخلوق عنه تستُّرُه بسِرْبَاله، الحي القيوم، الواحد الأحد، الفرد الصمد، المتفرد(٢) بالبقاء، وكل مخلوق منتهٍ(٣) إلى زواله، السميع الذي يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، فلا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين(٤) في سؤاله، البصير الذي يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء حيث كانت من سهله أو جباله، وألطف من ذلك رؤيته لتقلب قلب عبده ومشاهدته لاختلاف أحواله، فإن أقبل إليه تلقاه، وإنما إقبال العبد عليه(٥) من إقباله، وإن أعرض عنه لم يكله إلى عدوه(٦) ولم يدعه في إهماله، بل يكون أرحم به من الوالدة بولدها، الرفيقة(٧) في حمله ورضاعه وفصاله، فإن تاب فهو أفرح بتوبته من الفاقد لراحلته

---

(١) في (ش) زيادة: [وبه نستعين، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [سورة الكهف:١٠] وصلى الله على سيدنا محمد وآله].

(٢) في (ع): [المنفرد].

(٣) في (ع): [ينتهي].

(٤) هذه من عبارات شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ كما في مجموع الفتاوى (١٢٧/١) قال : "يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين".

(٥) في (ش): [إليه].

(٦) في حاشية (ع) كنسخة أخرى: [غيره].

(٧) في النسختين زيادة: [به].

التي عليها طعامه وشرابه في الأرض الدَّوِّيَّة(١) المُهْلِكَة إذا وجدها وقد تهيأ لموته وانقطاع أوصاله(٢)، وإن أصر على الإعراض ولم يتعرض لأسباب الرحمة؛ بل أصر على العصيان في إدباره وإقباله، وصالح عدوه، وقاطع سيده فقد استحق الهلاك، ولا يهلك على الله إلا الشقي الهالك(٣) لعظم رحمته وسعة إفضاله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلها واحداً أحداً فرداً صمداً جلّ عن الأشباه والأمثال، وتقدّس عن الأضداد والأنداد/(٤) والشركاء والأشكال، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا راد لحكمه، ولا معقب لأمره، ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [سورة الرعد:١١]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائم له بحقه وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه، أرسله رحمة للعالمين، وإماماً للمتقين، وحسرة على الكافرين، وحجة على العباد(٥) أجمعين، بعثه على حين فترة من الرسل فهدى به إلى أقوم الطُّرُق، وأوضح السُّبُل، وافترض على العباد طاعته ومحبته وتعظيمه وتوقيره والقيام بحقوقه، وسدَّ إلى جنته(٦) جميع الطرق فلم يفتح لأحد إلا من طريقه، فشرح له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وجعل الذِّلَّة والصَّغار على من خالف أمره(٧)، وأقسم بحياته في كتابه المبين(٨)، وقرن اسمه باسمه

---

(١) نسبة إلى الدَّوُّ وهي الصحراء، وقيل إلى الدَّوِّيُّ، سميت بذلك لدَوِي الصوت الذي يُسمع فيها، والدَّوِّيَّة هي الأرض الملساء المستوية بلغة تميم، وبلغة أهل الحجاز: الدَّاوِيَّة، وهي المفازة والقفر التي يُخاف الهلاك فيها [انظر: العين (٩٢/٨)، وتهذيب اللغة (١٥٨/١٤)، ومعجم مقاييس اللغة (٢٦٢/٢)].

(٢) دل عليه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند مسلم ح(٢٧٤٧) قال ﷺ ((لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك؛ إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال -من شدة الفرح-: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح)).

(٣) في (ع): [الهالك الشقي] بالتقديم والتأخير.

(٤) (٢/ب)

(٥) في (ش): [العالمين].

(٦) في (ش) زيادة: [ونهيه].

(٧) في (ش): [العالمين].

(٨) قال تعالى: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [سورة الحجر: ٧٢] ، قال ابن عباس رضي الله عنه: "ما خلق الله وما ذرأ وما نفساً أكرم على الله من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره قال الله تعالى ذكره: ﴿لَعَمۡرُكَ

فلا يذكر إلا ذكر معه، كما في التشهد والخطب والتأذين، فلم يزل ﷺ قائماً بأمر الله لا يرده عنه راد، مشمراً في مرضاة الله لا يصده عن ذلك صاد، إلى أن أشرقت الدنيا برسالته ضياءً(١) وابتهاجاً، ودخل الناس في دين الله أفواجاً أفواجاً، وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار، وبلغ دينه القيّم ما بلغ الليل والنهار، ثم استأثر الله به ليُنْجِز له ما وعده به في كتابه المبين، بعد أن بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله(٢) حق الجهاد، وأقام الدين(٣)، وترك أمته على البيضاء الواضحة البينة للسالكين، وقال: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يوسف:١٠٨].

أما بعد: فإن الله سبحانه لم يخلق خلقه سدى مُهْملاً، بل جعلهم مورداً للتكليف، ومحلاً للأمر والنهي، وألزمهم فَهْم ما أرشدهم إليه مجملاً ومفصلاً، وقسمهم إلى شقي وسعيد، وجعل لكل واحد(٤) من الفريقين منزلاً، وأعطاهم مواد العلم والعمل من القلب والسمع والبصر والجوارح نعمة منه وتفضلاً، فمن استعمل ذلك في طاعته؛ وسلك به طريق معرفته على ما أرشد إليه؛ ولم يبغ عنه عدولاً؛ فقد قام بشكر ما أوتيه من ذلك، وسلك به إلى مرضاة الله سبيلاً، ومن استعمله في إراداته/(٥) وشهواته؛ ولم يرعَ حق خالقه فيه؛ تحسّر إذا سُئل عن ذلك، وحَزِنَ(٦) حزناً طويلاً، فإنه لابد من الحساب على حق هذه الأعضاء، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [سورة الإسراء:٣٦].

إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾"[انظر: تفسير الطبري (١٤/٤٤)].

(١) سقط قوله: [ضياء] من (ش)، وفي (ع): [نوراً]، وفي حاشية (ع) كُتبت كلمة: [ضياء] وفوقها كُتب: أصل، فلعلها هكذا في الأصل الذي نقل منه الناسخ.

(٢) في حاشية (ع) كنسخة أخرى: [سبيل الله].

(٣) في (ش): [وأقام على الدين].

(٤) سقط قوله: [واحد] من (ش).

(٥) (٣/أ)

(٦) في (ش): [تحزن].

ولما كان القلب لهذه الأعضاء كالملك المتصرف(١) في الجنود [التي](٢) تَصْدُر كلها عن أمره؛ ويستعملها فيما شاء، فكلها تحت عبوديته وقهره؛ وتكتسب منه الإقامة والزيغ، وتتبعه فيما يعقده من العزم أو يحله، قال النبيﷺ: ((ألا [و](٣)إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله(٤)))(٥)، فهو ملكها(٦)، وهي المنفذة(٧) لما يأمرها به؛ القابلة لما يتهيأ(٨) من هديه، ولا يستقيم لها شيء من أعمالها حتى تصدر(٩) عن قصده ونيته، وهو المسئول عنها كلها، لأن ((كل راع مسئول عن رعيته))(١٠)؛ كان الاهتمام بتصحيحه وتسديده أولى ما اعتمد عليه السالكون، والنظر في أمراضه وعلاجها أهم ما تنسَّك به الناسكون(١١)، ولما عَلِمَ(١٢) عدو الله إبليس أن المدار على القلب والاعتماد عليه(١٣) أجلب عليه بالوساوس، وأقبل بوجوه الشهوات إليه، وزيّن له من الأحوال(١٤) والأعمال ما يصده به عن الطريق، وأمده من أسباب الغي بما يقطعه عن أسباب التوفيق، ونصب له من المصايد والحبائل ما إن سلم من الوقوع فيها لم يسلم

---

(١) في (ش): [المتعسف].

(٢) في الأصل: [الذي]، والصواب ما أثبته من النسختين؛ ليستقيم الكلام.

(٣) سقطت من الأصل و(ش)، وأثبتها من (ع)، ومن الصحيحين.

(٤) سقط قوله: [وإذا فسدت فسد الجسد كله] من النسختين.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه ح(٥٢)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ح(١٥٩٩).

(٦) في حاشية (ع) كنسخة أخرى: [مالكها].

(٧) في (ش): [المنقادة].

(٨) في النسختين: [يأتيها].

(٩) في النسختين: [يصدر].

(١٠) قطعة من حديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم ح(١٨٢٩).

(١١) سقط قوله: [والنظر في أمراضه وعلاجها أهم ما تنسك به الناسكون] من (ش).

(١٢) في (ش): [عرف].

(١٣) في حاشية (ع) زيادة: [أقبل و]، وكتب فوقها: (صح).

(١٤) في (ع): [الأقوال].

من أن يحصل له بها التعويق، فلا نجاة من مصايده ومكايده إلا بدوام الاستغاثة(١) بالله، والتعرض لأسباب مرضاته، والتجاء القلب إليه، وإقباله عليه(٢) في حركاته وسكناته، والتحقيق(٣) بذل العبودية الذي هو أولى ما تلبس به الإنسان ليحصل له الدخول في ضمان ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [سورة الحجر:٤٢] فهذه الإضافة هي القاطعة بين العبد وبين الشياطين، وحصولها سبب(٤) تحقيق مقام العبودية لرب العالمين، وإشعار القلب إخلاص العمل ودوام اليقين، فإذا أشرب القلب العبودية والإخلاص؛ صار عند الله من المقربين، وشمله استثناء ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [سورة الحجر:٤٠].

ولما منَّ الله الكريم بلطفه بالاطِّلاع على/(٥) ما اَطَّلِعُ عليه من أمراض القلوب وأدوائها، وما يَعْرِض لها من وساوس الشياطين أعدائها، وما تثمرها تلك الوساوس من الأعمال، وما يكتسب القلب بعدها من الأحوال، فإن العمل السيئ مصدره عن فساد قصد القلب، ثم يعرض للقلب من فساد العمل قسوة فيزداد(٦) مرضاً على مرضه حتى يموت ويبقى لا حياة فيه ولا نور له، وكل ذلك من [انفعاله](٧) لوسوسة الشيطان، وركونه إلى عدوه الذي لا يفلح إلا من جاهره(٨) بالعصيان؛ أردت أن أُقَيِّد ذلك في هذا الكتاب لأستذكره(٩)، معترفاً فيه لله بالفضل والنعمة(١٠)، وينتفع به من نظر فيه، داعيا

---

(١) في النسختين: [الاستعانة].

(٢) سقط قوله: [وإقباله عليه] من (ش).

(٣) في النسختين: [والتحقق].

(٤) في (ش): [بسبب].

(٥) (٣/ب).

(٦) في (ع): [ويزداد].

(٧) في الأصل: [أفعاله]، والصواب ما أثبته من النسختين، لأنه عدّاه بحرف اللام بعده.

(٨) في حاشية (ع) كنسخة أخرى: [جاهده].

(٩) في (ش): [لأستذكر به]، وفي حاشية (ع): [لاستدراكه] وضع فوقها حرف (ظ)، ومعناه: الظاهر.

(١٠) في (ع) زيادة: [والإحسان].

لمؤلفه بالمغفرة والرحمة(١)، وسميته: **إغاثة اللهفان في**(٢) **مصايد الشيطان.**

ورتبته(٣) ثلاثة عشر باباً:

الباب الأول: في انقسام القلوب إلى صحيح وسقيم وميت.

الباب الثاني: في ذكر حقيقة مرض القلب.

الباب الثالث: في انقسام أدوية أمراض القلب إلى طبيعية وشرعية.

الباب الرابع: في أن حياة القلب وإشراقه مادة كل خير فيه، وموته وظلمته مادة كل شر فيه.

الباب الخامس: في أن حياة القلب وصحته لا تحصل إلا بأن يكون مدركاً للحق، مريداً له، مُؤْثِراً له على غيره.

الباب السادس: في أنه لا سعادة للقلب ولا لذة ولا نعيم ولا صلاح؛ إلا بأن يكون إلهه وفاطره وحده هو معبوده، وغاية مطلوبه، وأحبَّ إليه من كل ما(٤) **سواه.**

الباب السابع: في أن القرآن الكريم(٥) **متضمن لأدوية القلب وعلاجه من جميع أمراضه.**

الباب الثامن: في زكاة القلب.

الباب التاسع: في طهارة القلب من أدرانه وأنجاسه.

الباب العاشر: في علامات مرض القلب وصحته.

الباب الحادي عشر: في علاج مرض القلب من استيلاء النفس عليه.

الباب الثاني عشر/(٦)**: في علاج مرض القلب بالشيطان.**

الباب الثالث عشر: في مكايد الشيطان التي يكيد بها ابن آدم، وهو الباب الذي

---

(١) في (ع) زيادة: [والرضوان].

(٢) في حاشية (ش) كنسخة أخرى: [من].

(٣) في (ع) زيادة: [على].

(٤) في (ع): [وأحب إليه مما].

(٥) سقط قوله: [الكريم] من (ش).

(٦) (٤/أ).

لأجله وُضِعَ(١) الكتاب، وفيه فصول جمة الفوائد حسنة المقاصد، والله تعالى يجعله خالصاً لوجهه(٢)، مؤمناً من الكرة الخاسرة، وينفع به مصنفه وكاتبه والناظر فيه في الدنيا والآخرة إنه سميع عليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) في (ش): [وُضِع لأجله] بالتقديم والتأخير.

(٢) في (ش) زيادة: [الكريم].

الـ اب الأول في انقسام القلوب إلـ صـ ح وسقـ م ومـ

لما كان القلب يوصف بالحياة وضدها؛ انقسم بحسب ذلك إلى هذه الأحوال الثلاثة:

فالقلب الصحيح: هو القلب(١) السليم الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [سورة الشعراء:٨٨-٨٩] والسليم: هو السالم(٢)، وجاء على هذا المثال لأنه للصفات كالطويل والقصير والظريف(٣)، فالسليم القلب الذي قد صارت السلامة صفة ثابتة له كالعليم والقدير(٤)، وأيضا فإنه ضد المريض والسقيم والعليل.

وقد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم(٥)، والأمر الجامع لذلك(٦): أنه

---

(١) سقط قوله: [القلب] من (ش).

(٢) انظر: العين (٢٦٥/٧) للخليل، وتهذيب اللغة (٣١١/١٢) للأزهري، والمحكم (٥١٣/٨) لابن سيدة.

(٣) في (ش): [والطريق]، وهذا الأصل في وزن (فعيل) أن يكون بمعنى فاعل، وما جاء بمعنى مفعول فهو معدول به عن الأصل [انظر: علل النحو (٥٦٧) للوراق].

(٤) قال المبرد في المقتضب (٢٢٠/٢): "فأما قولهم شاعر وشعراء فإنما جاء على المعنى لأنه بمنزلة فعيل الذي هو في معنى الفاعل نحو كريم وكرماء وظريف وظرفاء، وإنما يقال ذلك لمن قد استكمل الظرف وعُرف به، فكذلك جميع هذا الباب".

(٥) الذي ورد مسنداً عن الصحابة قول ابن عباس رضي الله عنه: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ قال: لا اله إلا الله، كما في تفسر ابن حاتم (٢٧٨٣/٨) والطبراني في الدعاء برقم (١٥٨٦)، ونسبه الإمام أحمد في الزهد (٢١٦) إلى أبي الجوزاء الراوي عن ابن عباس، وأما بقية الأقوال فذكرها الطبري (٨٧/١٩) (٧٠/٢٣) وابن أبي حاتم (٢٧٨٣/٨) بالأسانيد إلى من قال بها ومنها: قول محمد بن سيرين: أن يعلم أن الله حق، وأن الساعة قائمة، وأن الله يبعث من في القبور، وقال مجاهد: لا شك فيه، وقال قتادة والسدي والحسن: سليم من الشرك، وقال عبد الرحمن بن زيد: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ سليم من الشرك فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد، وقال الضحاك: هو الخالص.

(٦) قال الطبري في التفسير (٨٧/١٩): "والذي عني به من سلامة القلب في هذا الموضع هو سلام القلب من الشك في توحيد الله والبعث بعد الممات"، وقال البغوي في التفسير (١١٩/٦): "﴿سَلِيمٍ﴾ أي خالص من الشرك والشك، فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد هذا قول أكثر المفسرين"، وقال شيخ الإسلام في الفتاوى (٣٣٧/١٠): "هو سلامة القلب عن الإعتقادات الفاسدة والإرادات الفاسدة وما يتبع ذلك"، وانظر: مجموع الفتاوى (٢٢٢/١٠-٢٢٣) في تعريف القلب السليم، وانظر أيضاً: مدارج السالكين (٦٨/٢، ١٤٧)

الذي قد سَلِمَ من كل شهوةٍ تُخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهةٍ تُعارض خبره، فَسَلِمَ من عبودية ما سواه، وسَلِمَ من تحكيم غير رسوله، فسَلِمَ من محبة غير الله معه، ومن(١) خوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه والذل له وإيثار مرضاته في كل حال والتباعد من سخطه بكل طريق، و(٢) هذا هو حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده(٣).

فالقلب السليم: هو الذي سَلِم من أن يكون لغير الله [فيه](٤) شرك(٥) بوجه ما، بل قد خَلَصَت عبوديته لله: إرادة ومحبة وتوكلاً وإنابة وإخباتاً وخشية ورجاء، وخَلَصَ عمله لله، فإن أحبَّ أحبَّ في الله، وإن أَبْغَضَ أَبْغَضَ في الله، وإن أَعْطَى أَعْطَى لله، وإن مَنَعَ مَنَعَ لله، ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل من عدا رسوله(٦)ﷺ/(٧)، فيعقد قلبه معه عقداً محكماً على الإئتمام والاقتداء به وحده دون كل أحدٍ في الأقوال والأعمال(٨): أقوالِ القلب وهي العقائد(٩)، وأقوالِ اللسان وهي الخبر عما في القلب، وأعمالِ القلب وهي الإرادة والمحبة والكراهة وتوابعها، وأعمالِ الجوارح(١٠)، فيكون

(١٢٢/٣، ٤٨٧)، وطريق الهجرتين (٦٦)، وبدائع الفوائد (٣٦١/٢)، والروح (٢٤٤).

(١) في (ع): [فسلم في محبة الله، مع تحكيمه لرسوله في خوفه]، وفي حاشية (ع) كنسخة أخرى: [فسلم في محبة غير الله معه].

(٢) سقطت الواو من (ش).

(٣) وهو قريب مما ذكر في تعريف القلب السليم في الجواب الكافي (٨٤)، ومفتاح دار السعادة (٤١/١).

(٤) في الأصل: [فيها]، والصواب ما أثبته من النسختين، ليستقيم الكلام.

(٥) في (ش): [شريك].

(٦) في (ش): [رسول الله].

(٧) (٤/ب).

(٨) سقط قوله: [الأعمال] من (ش).

(٩) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٦٧٢/٧): "فأما قول القلب فهو التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويدخل فيه الإيمان بكل ما جاء به الرسولﷺ"، وقال ابن القيم في مدارج السالكين (١٠٠/١): "فقول القلب هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه، وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه على لسان رسله".

(١٠) هذه من أصول الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة المجمع عليها، فالدين والإيمان عندهم قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، قال ابن القيم في عدة الصابرين (٨٩): "فهذه الأركان الأربعة هي أركان الإيمان التي قام عليها بناؤه، وهي ترجع إلى علمٍ وعمل" [انظر: مجموع الفتاوى (٤٠/٢) (١٥١/٣،

الحاكم عليه في ذلك كُلِّه دِقّه وجِلّه هو ما جاء به الرسول ﷺ، فلا يتقدم بين يديه بعقيدةٍ ولا قولٍ ولا عملٍ، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ (١) لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [سورة الحجرات:١]، أي: لا تقولوا حتى يقول، ولا تفعلوا حتى يأمر(٢).

قال بعض السلف: "ما من فِعْلة وإن صَغُرت إلا يُنْشر لها ديوانان: لِمَ؟ وكيف؟"(٣)، أي لِمَ فعلت؟ وكيف فعلت؟.

فالأول: سؤال عن علَّة الفعل(٤) وباعثه وداعيه: هل هو حظ عاجل من حظوظ العامل(٥) وغرض من أغراض(٦) الدنيا من(٧) محبة المدح من الناس أو خوف ذمهم(٨)، أو استجلاب محبوب عاجل، أو دفع مكروه عاجل؟ أم الباعث على الفعل القيام بحق العبودية، وطلب التودُّد(٩) والتقرُّب(١٠) إلى الرب سبحانه وابتغاء الوسيلة إليه؟.

---

١٧٧) (٧/١٧٠-١٧١، ٢٦٣، ٦٧٢) (١٠/٢٦٨) (١٢/٤٧٢) (١٩/١٣٠)، والجواب الصحيح (٦/٣٦)، والصلاة وحكم تاركها (٧٠-٧١)، ومدارج السالكين (١/١٠٠)].

(١) سقط أول الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ من (ش).

(٢) قال ابن القيم في إعلام الموقعين (١/٥١): "أي لا تقولوا حتى يقول، ولا تأمروا حتى يأمر، ولا تفتوا حتى يُفتي، ولا تقطعوا أمراً حتى يكون هو الذي يحكم فيه ويمضيه، روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة، وروى العوفي عنه قال: نهوا أن يتكلوا بين يدي كلامه، والقول الجامع في معنى الآية: لا تعجلوا بقول ولا فعل قبل أن يقول رسول الله ﷺ أو يفعل" وانظر: مدارج السالكين (٢/٣٨٩)، وانظر أقوال السلف المأثورة في تعظيم قدر الصلاة (٢/٦٦١)، وتفسير الطبري (٢٦/١١٦-١١٧).

(٣) لم أقف على القائل، وانظر: إحياء علوم الدين (٤/٤٠٠)، فقد ذكر ثلاثة دواوين وهي: لِمَ؟ وكيف؟ ولمن؟، وسيكرر ابن القيم هذه المقولة في فصل ترك محاسبة النفس.

(٤) في (ش): [الشيء].

(٥) في حاشية (ع) كنسخة أخرى: [العاجل].

(٦) في (): [وعرضٍ من أعراض].

(٧) في النسختين: [في].

(٨) في (ع): [أو خوفٍ لهم].

(٩) سقط قوله: [التودُّد] من (ش).

(١٠) في (ش): [التقريب].

ومحل هذا السؤال: أنه هل كان عليك أن تفعل هذا الفعل لمولاك؟ أم فعلته لحظك وهواك؟.

والثـــاني: سؤال عن متابعة الرسول في ذلك التعبد، أي: هل كان ذلك العمل مما شرعته لك على لسان رسولي؟ أم كان عملاً لم أَشْرَعه و لم أَرْضَه؟.

فالأول سؤال عن الإخلاص، والثاني عن المتابعة، فإن الله سبحانه لا يقبل عملاً إلا بهما(١).

فطريق التخلص من السؤال الأول: بتجريد الإخلاص، وطريق التخلص من السؤال(٢) الثاني: بتحقيق المتابعة وسلامة القلب من إرادة تعارض الإخلاص وهوى يعارض الإتباع، فهذه حقيقة سلامة القلب الذي ضمنت له النجاة والسعادة(٣).

---

(١) يشير ابن القيم رحمه الله إلى شرطي قبول العمل، وقد دلَّ عليهما قول الله سبحانه ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [سورة النساء:١٢٥]، وقوله عز وجل ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [سورة الكهف:١١٠]، وقوله سبحانه ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [سورة الملك:٢]، روى أبو نعيم في الحلية (٩٥/٨) بإسناده عن الفضيل بن عياض رحمه الله في تفسير هذه الآية قال: قال أخلصه وأصوبه، فإنه إذا كان خالصاً و لم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً و لم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً، والخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة، وروى الهروي في ذم الكلام (١٢٨/٣) عن محمد بن الفضل بن سلمة قال: قلّما جلسنا إلى فضيل إلا أتانا بهاتين الكلمتين إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا ولا يقبله إلا على السنة، قال شيخ الإسلام في الفتاوى (١٨٨/٢٢): "وهذا الذي قاله الفضيل متفق عليه بين المسلمين، فإنه لابد له في العمل أن يكون مشروعاً مأموراً به، وهو العمل الصالح، ولا بد أن يقصد به وجه الله"، وقال أيضاً (٣٣٣/١) "وبالجملة فمعنا أصلان عظيمان، أحدهما أن لا نعبد إلا الله، والثاني أن لا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بعبادة مبتدعة، وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله" [وانظر: الفتاوى (١٥١/٢٦) (١٤٨/٢٧) (٢٣/٢٨)].

(٢) سقط قوله: [الأول: بتجريد الإخلاص، وطريق التخلص من السؤال] من (ش).

(٣) لابن القيم رحمه الله في بيان الحد الجامع للقلب السليم عبارات متنوعة أجمعها قوله في الجواب الكافي (٨٤): "والقلب السليم هو الذي سلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرياسة، فسلم من كل آفة تبعده من الله وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطعه عن الله...ولا يتم له سلامته مطلقاً حتى يسلم **من خمسة أشياء:**

ف

والقلب الثاني: ضِدُّ هذا، وهو القلب الميت الذي لا حياة به، فهو لا يعرف ربه، ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته وإراداته(١) ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه رضي ربه(٢) أم سخط؟ فهو متعبد لغير الله: حباً(٣) وخوفاً ورجاءً(٤) ورضاً/(٥) وسخطاً وتعظيماً وذلاً، إن أحبَّ أحبَّ لهواه، وإن أَبْغَض أَبْغَض لهواه، وإن أَعْطَى أَعْطَى لهواه، وإن مَنَعَ مَنَعَ لهواه(٦)، فهواه آثر عنده وأحب إليه من رضا مولاه، فالهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سايسه(٧)، والغفلة مركبه، فهو بالفكر في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور(٨)، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مغمور، يُنادى إلى الله وإلى(٩) الدار الآخرة من مكان بعيد، فلا يستجيب للناصح، ويتبع كل شيطان مريد، الدنيا تسخطه وترضيه، والهوى يُصِمُّه(١٠) -عما سوى الباطل- ويُعميه(١١)، فهو في الدنيا كما قيل(١٢) في ليلى(١٣):

من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى يناقض التجريد والإخلاص" وانظر: الروح (٢٤٤)، وبدائع الفوائد (٣٦١/٢)، وطريق الهجرتين (٦٦).

(١) في (ع): [لذاته].

(٢) في (ش): [به].

(٣) في (ش): [حياءً].

(٤) سقط قوله: [رجاءً] من (ش).

(٥) (٥/أ).

(٦) في (ش): [وإن مَنَعَ مَنَعَ لهواه، وإن أَعْطَى أَعْطَى لهواه] بالتقديم والتأخير.

(٧) في (ع): [سائقه].

(٨) في النسختين: [معمور].

(٩) سقط قوله: [إلى] من (ع).

(١٠) سقط قوله: [يُصِمُّه] من (ش)، وفي حاشيتها كتب: [لعله يلهيه أو نحو ذلك].

(١١) سقط قوله: [ويُعميه] من (ش).

(١٢) في (ش): [قال].

(١٣) البيت من الطويل لم أقف على قائله، وقد ذكره أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني (٢٢٤/٨) بلا نسبة ضمن أربعة أبيات تمثّل بها مالك بن أبي السمح، وفيها (سلمى) بدل (ليلى)، وهكذا أيضاً ذكرها النويري في نهاية الأرب (٥٠/٥)، ولعلها ليلى هي ابنة مهدي بن سعد العامرية من بني كعب بن ربيعة، صاحبة (مجنون ليلى) وهو قيس بن الملوح واختلف في نسبه، توفيت في حدود سنة (٦٨)هـ، قال الذهبي: وقد أنكر بعض الناس

عــدوٌّ لمــن عــادت وسِــلْمٌ لأهلــها ومن قرّبت ليلى أَحَبَّ وقَرَّبا(١)

فمخالطة صاحب هذا القلب سقم، ومعاشرته سُمٌّ ومجالسته هلاك.

فـ

والقلب الثالث: قلب له(٢) حياة وبه علة فله مادتان تمده هذه مرة وهذه أخرى(٣)، وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله والإيمان به والإخلاص له والتوكل عليه: ما هو مادة حياته، وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها والحسد والكبر والعجب وحب العلو في الأرض بالرياسة ما هو مادة هلاكه وعطبه، **وهو ممتحن بين داعيين**: داعٍ يدعوه إلى الله ورسوله والدار الآخرة، وداعٍ يدعوه إلى العاجلة، وهو إنما يجيب أقربهما منه باباً، وأدناهما إليه جواراً(٤).

فالقلب الأول: حيٌّ مخبتٌ(٥) ليِّن واعٍ.

والثاني: يابس ميت.

والثالث: مريض، فإما إلى السلامة أدنى، وإما إلى العطب أدنى.

وقد جمع الله سبحانه بين هذه القلوب الثلاثة في قوله: ﴿**وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ**

ليلى والمجنون، وهذا دفع بالصدر، فليس من لا يعلم حجة على من علم، ولا الثبت كالنافي [انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٥)، وتاريخ الإسلام (٥/٢١٥)، وخزانة الأدب (٤/٢١٤)].

(١) في (ش): [وأقربا].

(٢) في (ش): [وله].

(٣) في (ش): [يمد بهذه مرةً وبهذه أخرى].

(٤) في (ع): [جواباً] ، وكتب ما جاء هنا في الأصل: [جواراً] في حاشية (ع) كنسخة أخرى.

(٥) في (ش): [مجيب].

ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [سورة الحج:٥٢-٥٤] فجعل سبحانه القلوب في هذه الآيات ثلاثة: قلبين(١)/(٢) مفتونين، وقلباً ناجياً، فالمفتونان(٣): القلب الذي فيه مرض والقلب القاسي، والناجي: القلب المؤمن المخبت إلى ربه، وهو المطمئن إليه الخاضع(٤) له المستسلم المنقاد.

وذلك: أن القلب وغيره من الأعضاء يراد منه أن يكون صحيحاً سليماً لا آفة به، ليتأتى(٥) منه ما هيئ له وخلق لأجله، وخروجه عن الاستقامة إما ليبسه وقساوته وعدم التأتي لما يراد منه كاليد الشلاء، واللسان الأخرس، والأنف الأخشم، وذَكَرِ العنِّين، والعين التي لا تبصر شيئاً، وإما بمرض وآفة فيه تمنعه من كمال هذه الأفعال ووقوعها على السداد فلذلك انقسمت القلوب إلى هذه الأقسام الثلاثة(٦).

فالقلب الصحيح السليم: ليس بينه وبين قبول الحق ومحبته وإيثاره سوى إدراكه، فهو صحيح الإدراك للحق(٧) تام الانقياد والقبول له.

والقلب الميت القاسي: لا يقبله ولا ينقاد له.

والقلب المـــريض: إن غلب عليه مرضه التحق بالميت القاسي، وإن غلبت(٨) عليه صحته التحق بالسليم.

فما يلقيه الشيطان في الأسماع من الألفاظ وفي القلوب من الشبه والشكوك: فتنة لهذين القلبين، وقوة للقلب السليم الحي(٩)، لأنه يردُّ ذلك ويكرهه ويبغضه، ويعلم أن الحق في خلافه، فيخبت للحق قلبه ويطمئن وينقاد، ويعلم بطلان ما ألقاه الشيطان، فيزداد إيماناً

---

(١) في (ع): [فقلبين].
(٢) (٥/ب).
(٣) في (ع): [فالمفتون].
(٤) في (ش): [الخاشع].
(٥) في (ش): [يتأتى]، وفي (ع): [تنافي].
(٦) في (ش): [الثلاثة الأقسام] بالتقديم والتأخير.
(٧) سقط قوله: [للحق] من (ش).
(٨) في النسختين: [غلب].
(٩) في النسختين: [الحي السليم] بالتقديم والتأخير.

بالحق و(١) محبةً له، وكفراً بالباطل وكراهةً له، فلا يزال القلب المفتون في مرية من إلقاء الشيطان، وأما القلب الصحيح السليم فلا يضره ما يلقيه الشيطان أبداً.

قال حذيفة بن اليمان(٢): قال رسول الله ﷺ: ((تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير(٣) عوداً عوداً، فأيُّ قلبٍ أُشْرِبها نكتت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكتت(٤) فيه نكتة بيضاء حتى تصير(٥) القلوب على قلبين(٦) : قلب أبيض مثل الصفا(٧) لا تضره(٨) فتنة ما دامت السموات والأرض، ويصير(٩) الآخر مُرْبَادّاً(١٠) كالكوز(١١) مجخياً(١٢) لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه))(١٣) فشبه عرض

---

(١) سقطت الواو من (ش).

(٢) حذيفة بن اليمان حسيل بن جابر أبو عبدالله العبسي صحابي جليل، صاحب سر رسول الله ﷺ، والده حسيل بن جابر، واليمان لقبه، أسلم حذيفة وأبوه وأراد شهود بدر فصدها المشركون، وشهدا أحداً فاستشهد اليمان بها، استعمله عمر على المدائن فلم يزل بها حتى مات بعد قتل عثمان وبعد بيعة علي بأربعين يوماً، سنة (٣٦)هـ [انظر: الطبقات الكبرى (١٥/٦)، والطبقات (٤٨) لابن خياط، والتاريخ الكبير (٩٥/٣) للبخاري].

(٣) في (ش): [الحصر]، ولفظ الإمام مسلم: [على القلوب كالحصير].

(٤) في (ع): [نكتة].

(٥) في النسختين [تعود]، ولفظ الإمام مسلم: [حتى تصير على قلبين].

(٦) الحديث في النسختين فيه تقديم وتأخير، بدأ بذكر القلب الأسود قبل القلب الأبيض [قلب أسود....وقلب أبيض].

(٧) سقط قوله: [مثل الصفا] من النسختين، وفي مكان الجملة من (ش) فراغ بقدر كلمتين تقريباً.

(٨) في (ش): [يضره]، ولفظ الإمام مسلم كالأصل: [تضره].

(٩) لفظ الإمام مسلم: [والآخر]، وفي النسختين

(١٠) جاء في صحيح مسلم: "قال أبو خالد: فقلت لسعد: يا أبا مالك ما أسود مرباداً؟ قال: شدة البياض في سواد، قال: قلت: فما الكوز مُجَخِّياً؟ قال: منكوساً"، وهو مأخوذ من الرُّبْدَة، وهي: لون يخالط سواده كُدْرة غير حسنة، وقيل: لون بين السواد والغُبْرة، وتسمى الرُّمدة [انظر: العين (٣٠/٨)، وغريب الحديث (١٢١/٤) لأبي عبيد، وتهذيب اللغة (٧٧/١٤)، ومعجم مقاييس اللغة (٤٧٥/٢)، وشرح السنة (٨/١٥) للبغوي].

(١١) الكوز هو الكوب إذا كان له عروة، فإذا كان بدون عروة فهو الكوب [انظر: العين (٤١٧/٥)، وتهذيب اللغة (١٧٥/١٠)، والمحيط في اللغة (٣٤٤/٦)].

(١٢) في (ش): [محجباً]، وهو تصحيف.

(١٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وإنه يأرز بين المسجدين ح(١٤٤).

الفتن على القلوب شيئاً فشيئاً كعرض عيدان الحصير(١) وهي طاقاتها شيئاً فشيئاً/(٢)، وقسَّم القلوب عند عرضها عليها **إلى قسمين:**

قلبٍ إذا عُرضت عليه فتنة أُشْرِبَها كما يَشْرَب السِّفَنْج الماء، فتنكت فيه نكتة سوداء، فلا يزال يشرب كل فتنة تعرض عليه حتى يسود وينتكس، وهو معنى قوله: ((كالكوز مجخياً)) أي مكبوباً منكوساً(٣)، فإذا اسودّ وانتكس عُرض له من هاتين الآفتين مرضان خطران متراميان إلى الهلاك، **أحدهما:** اشتباه المعروف عليه بالمنكر، فلا يعرف معروفاً ولا يُنكر منكراً، وربما استحكم فيه(٤) هذا المرض حتى يعتقد المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والسنة بدعة والبدعة سنة، والحق باطلاً والباطل حقاً.

الثاني: (٥) تحكيمه هواه على ما جاء به الرسول، وانقياده للهوى واتباعه له.

وقلب أبيض قد أشرق فيه نور الإيمان وأزهر فيه مصباحه، فإذا عُرضت عليه الفتنة أنكرها وردها، فازداد نوره وإشراقه وقوته(٦)، والفتن التي تُعرض على القلوب هي أسباب مرضها، وهي فتن الشهوات، وفتن الشبهات، فتن الغي والضلال، فتن المعاصي والبدع، فتن الظلم والجهل، **فالأولى:** تُوجب(٧) فساد القصد والإرادة، **والثانية:** تُوجب فساد العلم والاعتقاد.

وقد قسّم الصحابة رضي الله عنهم القلوب إلى أربعة، كما صح عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قوله: "القلوب أربعة: قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن، وقلب أغلف فذلك قلب الكافر، وقلب منكوس فذلك قلب المنافق، عرف ثم أنكر، وأبصر ثم

---

(١) في (ش): [الحصر].

(٢) (٦/أ).

(٣) المجخي في الأصل هو المائل عن الاستقامة والاعتدال، أي المنكوس [انظر: غريب الحديث (١٢١/٤) لأبي عبيد، وتهذيب اللغة (١٩٤/٧)، والفائق (٤١٨/٢)].

(٤) في (ع): [عليه]، وفي حاشية (ع) كُتبت كلمة: [فيه] وفوقها كُتب: أصل، فلعلها هكذا في الأصل الذي نقل منه الناسخ.

(٥) في (ش) زيادة: [أنَّ].

(٦) في (ع): [قوته وإشراقه] بالتقديم والتأخير.

(٧) في (ع): [يوجب].

عمي، وقلب يمده(١) مادتان: مادة إيمان ومادة نفاق، وهو لما غلب عليه منهما"(٢).

فقوله: "قلب أجرد" أي: متجرد مما(٣) سوى الله ورسوله، فقد تجرّد وسلم مما سوى الحق، وفيه سراج يُزْهر فيه(٤) وهو مصباح الإيمان، فأشار بتجرده إلى سلامته من شبهات الباطل وشهوات الغي، وبحصول السراج فيه إلى إشراقه واستنارته بنور العلم والإيمان(٥)، وأشار بالقلب الأغلف إلى قلب الكافر، لأنه داخل في غلافه وغشائه فلا يصل إليه نور العلم والإيمان(٦)، كما قال/(١) تعالى حاكياً عن اليهود: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [سورة

---

(١) في (ش): [تمده].

(٢) أخرجه عبدالله بن المبارك في الزهد (٥٠٤/١) بلفظ: " القلوب أربعة، قلب أغلف فذاك قلب الكافر، وقلب منكوس فذاك قلب يرجع إلى الكدر بعد الإيمان، وقلب اجرد فيه مثل السراج يزهر فذاك قلب المؤمن، وقلب مصفح اجتمع فيه نفاق وإيمان، فمثل الإيمان فيه كمثل بُقِيلة يمدها الماء العذب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم وهو لأيتهما غلب"، وبنحوه ابن أبي شيبة في المصنف برقم (٣٠٤٠٤) و(٣٧٣٩٥)، وفي الإيمان (٢٧)، وعبدالله بن أحمد في السنة (٣٧٨/١)، والطبري في التفسير (٤٠٦/١)، وأبو نعيم في الحلية (٢٧٦/١)، ونسبه شيخ الإسلام في الفتاوى (٣٠٤/٧) إلى أبي داود و لم أقف عليه فيه، وبيّن ابن تيمية أنه روي مرفوعاً في المسند، وقال: "وهذا الذي قاله حذيفة يدل عليه قوله تعالى ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [سورة آل عمران:١٦٧] فقد كان قبل ذلك فيهم نفاق مغلوب، فلما كان يوم أحد غلب نفاقهم فصاروا إلى الكفر أقرب"، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢١٤/١) إلى ابن أبي الدنيا في الإخلاص، و لم أقف عليه فيه، وقال الألباني في تحقيق الإيمان لابن أبي شيبة: "حديث موقوف صحيح"، وأما روايته مرفوعاً فقد جاء عند الإمام أحمد في المسند (١٧/٣) ح(١١١٤٥) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وعند الطبراني في الصغير ح(١٠٧٥)، وأبو نعيم في الحلية (٣٨٥/٤)، وجوّد إسناده ابن كثير في التفسير (١٦٣/١) (٦١/٦) والسيوطي في الدر المنثور (٢١٥/١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٣/١): "رواه أحمد والطبراني في الصغير وفي إسناده ليث بن أبي سليم"، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ح(٥١٥٨)، وكذا ضعفه الأرنؤوط في تحقيق المسند (٢٠٨/١٧) لضعف ليث، وللانقطاع بين أبي البختري وأبي سعيد الخدري، وذكر أن باقي رجاله ثقات رجال الشيخين، كما روي موقوفاً عن سلمان الفارسي وهو عند ابن أبي حاتم في التفسير ح(٨٦٦٧) (١٥٢٠٦)، كما روي أوله وهو قوله (القلوب أربعة) موقوفاً عن علي ﷺ وهو عند ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٥٢/٥٠)، وأشار إليه شيخ الإسلام في الفتاوى (١٠٦/١٠).

(٣) في (ش): [عما].

(٤) سقط قوله: [فيه] من (ش).

(٥) قال ابن الأثير في النهاية (٢٥٦/١) " أي ليس فيه غل ولا غش، فهو على أصل الفطرة فنور الإيمان فيه يزهر".

(٦) قال الخليل في العين (٤١٩/٤) "وقلب أغلف كأنما غُشي غلافا فلا يعي شيئاً".

البقرة:٨٨] وهو جمع أَغْلَف وهو الداخل في غلافه كقُلْف(٢) وأَقْلَف، وهذه الغشاوة هي الأكِنَّةُ التي ضربها الله على قلوبهم عقوبة لهم على رد الحق والتكبر عن قبوله(٣)، فهي أكنة على القلوب، ووقر في الأسماع، وعمى في الأبصار، وهي الحجاب المستور عن العيون في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [سورة الإسراء:٤٥-٤٦] فإذا ذكر لهذه القلوب تجريد التوحيد وتجريد المتابعة ولَّى أصحابُها على أدبارهم نفوراً.

وأشار بالقلب المنكوس وهو المكبوب إلى قلب المنافق كما قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟﴾ [سورة النساء: ٨٨] أي نكسهم وردهم في الباطل الذي كانوا فيه بسبب كسبهم وأعمالهم الباطلة(٤)، فهذا شر القلوب وأخبثها؛ فإنه

---

(١) (٦/ب).

(٢) في (ش): [كغُلْف].

(٣) القول بأن المراد بالغلف الأكنة والأغطية قرره الطبري في التفسير (١/٤٠٦-٤٠٨) ورجحه، وعزاه إلى عامة أهل العلم، **والقول الثاني**: أن المراد به الأوعية، قال ابن القيم في البدائع (٣/٦٣٣): "هذا أحد القولين، والقول الثاني -وهو أرجح-: غُلْف أي: في غشاوة لا نفقه عنك ما تقول، نظيره قوله ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ [سورة فصلت:٥] وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يُضَعِّف قول من قال: أوعية جداً، وقال إنما هي جمع أَغْلَفْ، ويقال للقلب الذي في الغشا أَغْلَف، وجمعه غُلْف، كما يقال للرجل غير المختون أَقْلَف، وجمعه قُلْف"، وقال في شفاء العليل (٩٣) "وأما قول من قال: هي أوعية للحكمة؛ فليس في اللفظ ما يدل عليه البتة، وليس له في القرآن نظير يحمل عليه، ولا يقال مثل هذا اللفظ في مدح الإنسان نفسه بالعلم والحكمة، فأين وجدتم في الاستعمال قول القائل: قلبي غلاف، وقلوب المؤمنين العالمين غُلْف؛ أي: أوعية للعلم؟ والغلاف قد يكون وعاء للجيد والرديء، فلا يلزم من كون القلب غلافاً أن يكون داخله العلم والحكمة، وهذا ظاهر جداً".

(٤) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (٢/٤٣٤): "الراء والكاف والسين أصل واحد، وهو قلب الشيء على رأسه، ورَدُّ أوله على آخره، قال الله جل ثناؤه: ﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟﴾ [سورة النساء:٨٨] أي ردهم إلى كفرهم"، وانظر: غريب الحديث (١/٢٥٧) لأبي عبيد، وأدب الكاتب (٣٤٠) لابن قتيبة، وتفسير الطبري (٥/١٩٢).

يعتقد الباطل حقاً ويوالي أصحابه، والحق باطلاً ويعادى أهله، فالله المستعان(١).

وأشار بالقلب الذي فيه(٢) مادتان إلى القلب الذي لم يتمكن فيه الإيمان، ولم يزهر فيه سراجه؛ حيث لم يتجرد للحق المحض الذي بعث الله به رسوله؛ بل فيه مادة منه ومادة من خلافه، فتارة يكون الكفر أقرب إليه من الإيمان(٣)، وتارة يكون الإيمان أقرب إليه من الكفر(٤)، والحكم للغالب، وإليه يرجع.

(١) انظر: شفاء العليل (١٠١).

(٢) في النسختين: [له].

(٣) في النسختين: [أقرب منه للإيمان].

(٤) في النسختين: [أقرب منه للكفر].